اجراً ان اجري الا على الذي فطرني وقال في قصة صالح لا اسالكم عليه اجراً ان اجري الا على الله و
قال في قصة نوح وما اسالكم عليه من اجر وقال في قصة شعيب وما اسالكم عليه من اجر وكذلك
قال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين في هذه السورة وفي سورة حم عسق وقال
سورة الطور ام تسالهم اجراً فهم من مغرم مثقلون وفي ذلك دليل على ان اخذ الاجرة على تعليم
القران والعلم وروايه الاحاديث وعلى الامامة والاذان لا يجوز والمتاخرون انما جوزوا ذلك للضرورة
قوله وما قدروا الله حق قدره حق معرفته عبر عن المعرفة بالقدر لكونها سببا لها وطريقا اليها لان قدر الشي
يقدر بالضم قدراً اذا سبره وحزره واراد ان يعلم مقداره ومنه قوله عليه السلام اذا غم عليكم
الهلال فاقدروا له فاطلبوا علمه بالتقدير والحرص ثم قال لمن عرف شيئا حق معرفته قدره حق قدره
بصفاته واحواله انه لا يقدر قدره ولما حكى الله عنهم انهم ما قدروا الله حق قدره بين ما هو السبب في ذلك
وهو قولهم ما انزل الله على بشر من شي ووجه كون قولهم ذلك سببا لعدم معرفتهم الله تعالى حق معرفته ان
من انكر النبوة والرسالة اما ان يقول انه تعالى ما كلف احداً من خلقه او يقول انه كلفهم والاول باطل
لانه يستلزم القول بانه تعالى ترك احوال خلقه سدى واباح لهم جميع المنكرات والقبائح وهو لا يليق بالحكيم الحكيم القهار
فتعين القول بانه كلف الخلق بالامر والنهي وذلك يستلزم ان يرسل اليهم من يبلغ احكامه ويبين حلاله وحرامه
وما فيه صلاح احوال الخلق وفسادها وما ذلك الا الرسول فان قيل فلم لا يجوز ان لا يكلف
اكتفاء بتحسين العقل وتقبيحه وكفايته في ايجاب الواجبات وتحريم المنكرات اجيب بانه يقال هب ان
الامر كما قلتم الا انه لا يمتنع تاكيد التعريف العقلي بالتعريفات الشرعية على السنة الانبياء والرسل
فثبت ان من انكر البعثة والرسل فقد طعن في حكمة الله تعالى فكان ذلك منه قضياً لا يليق ففسد في
حقه ان يقال وما عرف الله حق قدره ووجه انتظام هذه الاية بما قبلها انه قد تقرر ان مدار القران الحكيم
اثبات امر التوحيد والنبوة والمعاد ولما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام احتجاجه على حقية امر
التوحيد وابطاله قواعد الشرك وعبادة الاصنام والكواكب شرع بعد ذلك في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا
الله حق قدره حيث انكروا حكمة الله تعالى في ارسال الرسل وانزال الكتب بانها من الرحمة البالغة والنعمة التامة
وتجاسروا اي اجترؤا على هذه المقالة الموجبة سخطه وشديد بطشه نعوذ بالله منه هذا الفضل العظيم
والرحمة البالغة قوله قالوا ذكر مبالغة في انكار انزال القران على رسوله جواب عما يقال كيف يمكن لليهود ان يقولوا

٤٢

يقولوا هذه المقالة الحمقاء بتنكير بشر وشي مع ان النكرة في سياق النفي تفيد العموم وهم يعتقدون ان
التوراة كتاب انزله الله تعالى على موسى عليه السلام وهذا الاعتقاد ينافي ان يقولوا ما انزل الله على بشر من شي وتقرير
الجواب ان قائل هذا القول لما حمله الغضب على ان ينكر رسالة رسول الله صلعم وانزال القران عليه اراد ان يقول ان الله ما
انزل الله عليك شيئا البتة الا انه قال ما انزل الله على بشر من شي مبالغة في كلامه كما يقال في جواب الزام ما
ونقضاً لكلامه كيف تقول ذلك وقد انزل التوراة على موسى حال كونه جامعا بين كونه نوراً يستضي به الاحكام والشرائع
وبين كونه هدى للناس الى التوحيد وحقية البعث والحساب فلم لا يجوز انزال القران على محمد صلعم مع انه كلام معجز
يعرف بكمال فصاحته وبلاغته على كونه كلاما الهيا منزلا من عند الله تعالى واستدل على ان قائل هذه المقالة اليهود
بثلثة اوجه الاول ان الله تعالى قال في نقض كلام القائلين والزامهم قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
وهذا الالزام انما يليق باليهود فدل ذلك على ان القائلين هم اليهود والثاني قراءة الجمهور
الافعال الثلثة بتاء الخطاب وهي تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً فان الخطاب انما يليق باليهود
فان قوله وقراءة الجمهور مجرور معطوف على قوله نقض كلامهم والثالث تضمين ذكر النقض والالزام
توبيخهم على سوء حملهم للتوراة فانه مجرور بالعطف على قوله نقض كلامهم قال المفسرون كانوا يكتبون التوراة
في قراطيس متقطعة حتى لا تكون مجموعة ويكون يتمكنوا بتفريقها وتبعيضها من اخفاء ما يشاؤن اخفاءه ويدين
نعت رسول الله صلعم واية الرجم وغيرهما فيما يشتمل به العوام واظهار ما يحبون اظهاره من مدح بني اسرائيل
وبين موسى وتابعيه وتاكيد امره قوله وكتبوه في قراطيس يدل على انتصاب قراطيس بنزع الخافض اي تجعلونه
في قراطيس وورقات متفرقة وفيه ضرب من الاستخفاف والتهاون به ولذا نهي من يصغر حجم القران
روي ان مالك بن الضيف كان من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا فاتى رسول الله صلعم
بمكة فقال له رسول الله صلعم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين
قال نعم قال فانت الحبر السمين قد سمنت من ماكلتك التي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك ثم التفت
الى عمر ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية فلما رجع مالك الى قومه قالوا ما هذا الذي
بلغنا عنك قال انه اغضبني فقلت ذلك فقالوا غضبت كفرت فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
فهذه الرواية تؤيد ان قائل تلك المقالة الحمقاء كان من اليهود وايضا ان اكثر المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة
نزلت بمكة دفعة ومناظرتهم مع رسول الله صلعم كانت في المدينة فكيف يمكن حمل هذه الاية على تلك المناظرة مدفوع بان مناظرة